التصوف الإسلامى

Islamic Mysticism (Sufism)

د. لينا الخطيب

المحاور

- المخرجات المتوقعة من الدرس
- المقدمة
- الحال الروحية للشعوب قبل الإسلام
- التصوف ظاهرة مجلوبة نشأت خارج حضاراتنا
- النشأة الذاتية للتصوف
- طبيعة التصوف
- مصادر التصوف
- هل التصوف علم أم سلوك وطريقة ؟

المحاور

- خلاصة
- مدارس التصوف في التاريخ الإسلامي
- الجانب العملي
- روابط خارجية

المخرجات المتوقعة من الدرس

بعد إتمام هذا المقرر، يتُوقع أن يكون الطالب قادرًا على:

1. القدرة على شرح المفاهيم الصوفية بلغة فلسفية وروحية دقيقة
2. تحليل النصوص الصوفية والكشف عن أبعادها الرمزية والعرفانية
3. فهم أثر التصوف في الفكر الإسلامي وفي الحياة الروحية والثقافية
4. نقد التصوف من زوايا متعددة ومقارنته بتجارب روحية أخرى

مقدمة

- ندلل حديثاً بأن الصوفية بالأصل مشتقة من صفاء القلب أو صفاء النفس أو مأخوذة من لبس الصدق الذي كان من ظاهر الأنبياء والأولياء أو من صفاء المعاملة مع الله، فهي أصلاً أخلاق وتمسك وتعبد .ولا نعرف حركة في الإسلام أخذت هذا المثل المدى القلق من الاهتمام إذ عجز دارسوها والباحثون فيها عن التوصل إلى رأي مقنع باعتبارها علماً أو طريقة ، كما عجزوا عن تحديد الموصفات اللازمة من المنتسب إليها، الأمر الذي ترك آثار السلبية في استقرارها ، فبدلاً من أن تكون سهلة مبسطة حولت إلى أشكال وأحوال صعبة متعددة، أصبح الباحث فيها كمن ضيع طريقه في الصحراء، دون معالم هكذا بحثوا عنها في العلم فغابت الطريقة، وبحثوا عنها في الطريقة فغاب العلم ورأوا أن تكون حركة فغادرت أهداف الحركة، فما كان منهم إلا جمعوا هذه الأهداف، بما لكل فيها من دلالات وما تنطوي عليه من مضمون ذهني أو خلقي تتأبى إيصاله إلى الجماهير مما حولها إلى ممارسات وطقوس عاطفية معينة كالغناء والرقص والانخلاع.

مقدمة

عرف الإمام الحفيد التصوف، فقال: أن تكون مع الله بلا علاقة، وذلك باتباع رسول الله ، وقال الإمام الغزالي : ((هو تجريد القلب الله تعالى واحتقار عما سواه))، وقيل: ((هو صدق العبودية وصدق التوجه إلى الله))، وقيل: ((حفظك حواسك، ومراعاة أنفاسك، والجد في السلوك إلى ملك الملوك)).

وقال "التستري" : ((الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ بالفكر، وانقطع إلى الهم واستوى عنده الذهب والمدة).

مقدمة

وقيل: أن يمينك الحق، وبجبينك

- وقال "أبو الحسن الشاذلي" التصوف حفظ شرائع الدين وسلب الإرادة لله وحسن الخلق مع المسلمين . وننوه استطراداً بأن الإسلام هو دين الاعتدال والوسطية في أقطاب الحياة: الدين والدنيا الدنيا والآخرة - العقل والعاطفة، المادة والروح.

الحال الروحية للشعوب قبل الإسلام

- نستطيع أن نؤكد أنه ما من أمة من الأمم إلا ويسود حياتها قدر ما من الشغفة الأريـج الروحي، والأمة العربية مثلها في ذلك مثل بقية الشعوب« خضعت إلى هذا الناموس الأعظم، لاسيما أن عواملها الجغرافية - صحراؤها الشاسعة - دورياتها - جبالها المرتفعة، تقلباتها المناخية، حيواناتها إلخ.. لعبت دوراً بارزاً في هذا المضمار إضافة إلى الفعال الاجتماعي القلق الذي نقص سكينة الإنسان واطمئنانه، فما هي هذه الانبثاقات الروحية؟.

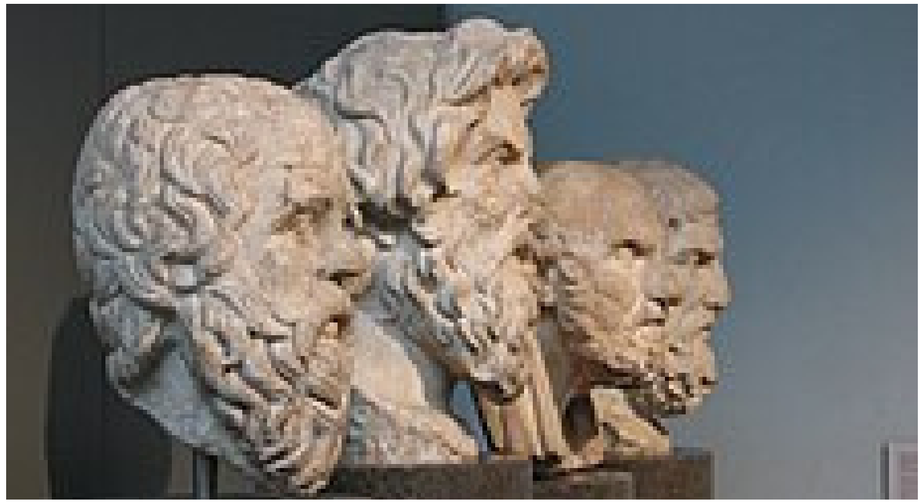

الحال الروحية للشعوب قبل الإسلام

- سنعرض هنا حيات الرجال في الجاهلية التي اكتست بالزهد والتصوف لنمض إلى الجزيرة العربية، ولنلتمس بعض الجوانب الروحية التي كانت منتشرة بين العرب الجاهليين، ولنفرض لأقوالهم المنثورة ذات الطابع الديني ولحياتهم المصطنعة بالزهد والنظر في الكون بارتقاب ما جاء في الإسلام، مؤكدين أن هذه الخلافات هي بمثابة إرهاص لنشأة ظاهرة التصوف، وهؤلاء الزهاد هم :
- 1- قس بن ساعدة الأيادي:
- تميزت شخصية قس بطابع خاص جعلت النبي ﷺ سأله عنه أحد رجال عبد قيس حين قدموا عليه، وكان هذا الرجل هو الجارود بن العلي بن جنش ابن معلى العبدي، الذي كان نصرانياً حسن المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها عالماً بسير الفرس وأقاويلها ، بصيراً بالفلسفة والطب، ظاهر الدهاء والأدب كامل الجمال ذو ثروة ومال.

الحال الروحية للشعوب قبل الإسلام

- ثم قام رجل إلى الرسول الله وقص عليه حكاية عن قس تدل على أنه كام من أصحاب الأحوال والكرامات، وتشير هذه القصة إلى أنه كان بيده قضيب، وقد وردت سباع كثيرة عيناً من الماء، وكان كلما ذهب سبع منها يشرب، قبل صاحبه ضربه قس بالقضيب الذي بيده وقال: ((اصبر حتى يشرب الذي قبلك فذعر الرجل من ذلك ذعراً شديداً ، فنظر إليه "قس" وقال : لا تخف وإذا بقبرين بينهما مسجد فقال له الرجل: ما هذان القبران فقال قس قبر أخوين كانا يعبدان الله عز وجل بهذا الموضع، فأنا مقيم بين قبريهما أعبد الله متى الحق بهما، فقال له: أفلا تلحق بقومك فتكون معهم في خيرهم وتباينهم على شرهم فقال له ثكلتك أمك، أو ما علمت أن ولد اسماعيل تركوا دين إلههم واتبعوا الأضداد وعظموا الأنداد)).

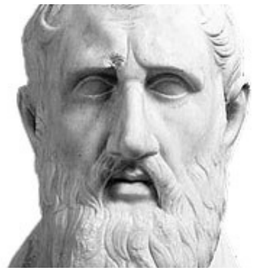

الحال الروحية للشعوب قبل الإسلام

- وما يهمنا من أمر هذا الرجل ما ذكره أبو سفيان عنه من أنه كان أثناء سفره إلى الشام للتجارة، يأخذ سفراً له يقرأه على القوم، وكان كلما نزل قرية من قرى النصارى يكرمونه ويهدون له ثم يذهب معهم إلى بيوتهم، ثم إذا رجع وسط النهار طرح ثوبيه وأخذ ثوبين له أسودين فيلبسهما متشبهاً برهبان المسيحية، وكان شيخ من النصارى يحث القوم على اتباعه وذلك لن أمية هذا كان يؤمن بالبعث والحساب.
- 2-خالد بن سنان العبسي :عن سماك بن حرب قال أن النبي ﷺ سئل عنه فقال : ذَاكَ نَبِيٌّ أَضَاعَهُ قَوْمُهُ، وعنه أيضاً أن ابن خالد بن سنان أتى النبي ﷺ فقال: مَرْحَبًا بابن أخي، ولكن ابن كثير ينكر نبوته، والأغلب أنه كان رجلاً صالحاً له أحوال وكرامات، وحجته في ذلك أنه إن كان في زمن الفترة فقد ثبت في صحيح البخاري عن الرسول ﷺ.

الحال الروحية للشعوب قبل الإسلام

- 3- زيد بن عمرو بن نفيل :
- والشخصية التي تسترعي أنظارنا هي شخصية زيد بن عمرو بن نفيل، وقد كان قريب عهد بظهور الإسلام بحيث أن أسماء بنت أبي بكر ذكرت أنها رأته في مكة مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول يا معشر قريش، والذي نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري، ثم يقول : اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عندتك به، ولكني لا أعلم، ثم يسجد على راحلته، وكان يصلي إلى الكعبة ويقول إلهي إله إبراهيم وديني دين إبراهيم وكان يحي المؤودة ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أدفعها إلي أكفلها ، فإذا ترعرعت فإن شئت فخذها وإن شئت فادفعها .

الحال الروحية للشعوب قبل الإسلام

- وإذا صحت هذه الأقوال فيكون من الأفراد الغلائل المعروفين بالحنيفية الذين كانت فيهم بقايا العقيدة القديمة عقيدة التوحيد ويصدق ما ذكره ابن كثير على لسان "محمد ابن اسحق" من أنه لم يكن أعدل أمراً وأعدل ثباتاً من زيد بن عمرو بن نفيل حيث اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والملل كلها إلا دين الحنيفية يوحد الله ويخلع من دونه، ولا يأكل الذبائح قومه فأذاهم بالفراق لما هم فيه.

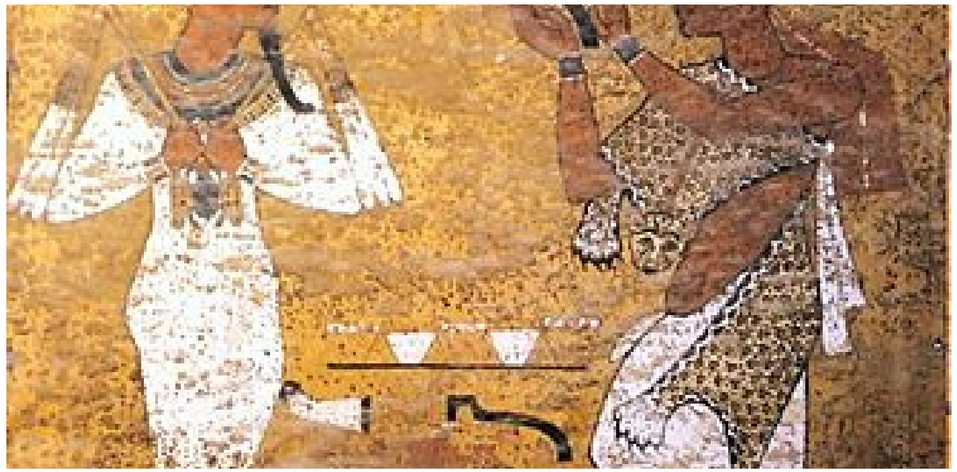

التصوف ظاهرة مجلوبة نشأت خارج حضاراتنا

- إن الأمم المختلفة والديانات السابقة على الإسلام كانت تقيم كثيراً من هؤلاء الرومانيين الذين فاضت ألسنتهم بعبارات وأقوال تترجم عن علاقتهم بربهم، قد لا تقل أهمية عن تلك التي نجدها عند صوفية الإسلام، ولكن المشكلة التي تواجه كل باحث هل أخذ الصوفية المسلمون عن هؤلاء طريقهم الصوفي، أم أن طريقهم كان إسلامياً مخفياً ؟ لقد نقلت إلينا صور عن موسى أنه كان متصوفاً ، فهل أقرت قصص موسى اليهودية في التصوف الإسلامي؟.
- لا شك في أن الإسلام يختلف مع اليهودية في صورة موسى، فموسى التوراة جبار عنيف، يقتل ويقاتل، أما قصة موسى في القرآن ففيها أجمل المعاني النفسية والروحية، ومن العجب أن تلهم قصته بعد ذلك كثيراً من المعاني الصوفية الدقيقة.

التصوف ظاهرة مجلوبة نشأت خارج حضاراتنا

- فموسى القرآن غير موسى التوراة، لقد وضعه القرآن في نسق الأنبياء الإنسانيين الذين تنبثق منهم أغفيات الروح، بينما وضعه اليهود قاتلاً جباراً، يقتل من يشاء من غير اليهود ، ولا تحكمه غير عاطفة اليهود ولا يتجه إلا إلى اليهود جعله الإسلام روحاً، وجعله اليهود ومادة، جعله الإسلام نبياً إنساناً وجعله اليهود نبياً صنماً وقاتلاً سفاحاً يقتل من يشاء ويذبح من يشاء ويخادع من يشاء، لبني إسرائيل العتاة، سائراً في التيه أربعين عاماً، يزمجر للكون ويرعد، ويهدد أعداء بني إسرائيل بالفناء .

التصوف ظاهرة مجلوبة نشأت خارج حضاراتنا

- ويذكر ابن الجوزي" أن "وليداً ابن القاسم سأل إلى أي شيء ينسب الصوفي فقال: كان قوم في الجاهلية يقال لهم صوفي انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية. ونستطيع القول مع أبي نعيم بأن التصوف إذا كان مشتقاً من الصوفية التي هي القبيلة فلأن المتصوف فيما كفى من حاله ونعم من ماله وأعطى من عقباه وحفظ من حظ دنياه أحد أعلام الهدى لعدولهم عن الموبقات واجتهادهم في القربات وتزودهم من الساعات وتحفظهم للأوقات، فسالك منهجهم ناج من الغمرات وسالم من المهلكات . وبعضهم يرجع التصوف إلى أن القوم كانوا يقصرون طعامهم على الصوفانة وهي بقلة رعناء قصيرة، وحتى هذا الرأي نجد له مصدراً قرآنياً في الآية التي تقول : وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ واحد، وإلى جانب ذلك فالتصوف إذا أخذ من الصوفانة التي هي البقلة، فلاجتزاء القوم بما توحد الله عز وجل بصنعه ومن عليهم به من غير تكلف بخلقه، فاكتفوا به عما فيه للآدميين صنع كاكتفاء البررة الطاهرين من جلة المهاجرين في مبادئ إقبالهم وأول أحوالهم.

التصوف ظاهرة مجلوبة نشأت خارج حضاراتنا

- وهنالك الرأي يذهب إلى أن كلمة الصوفية ليست سوى مجموع أحرف حفرية تعني الحكمة الإلهية، فمجموع الأرقام التي تمثل الكلمة الأولى بطريقة حساب الجمل تعادل مجموع أرقام العبارة الثانية، ولكن الأستاذ جبور عبد النور يذكر انه قام بهذه العملية الحسابية فإذا بالفقرة الثانية أضعاف الأولى، ويظن أي أحد المستشرقين الذي نقل عنه هذا الرأي ويدعي "أفلبير ميركس "لا يقصد كلمة الصوفية والحكمة الإلهية كما كر ذلك، بل يريد الصوفي والحكيم الإلهي وهما يتعادلان في مجموع أرقامها .
- وهنالك فرقة يهودية تسمى الكبالية أو القبالية نسبة إلى الكبالا عالم الطلاسم والسحر والنيرنجات أخَذُ كالسحر وليس به، والخفاء عند اليهود والاعتقاد في السحر والحروف والأرقام واستخدام القيم العددية للحروف الأبجدية وقد انتشر الكباليون في العالم الإسلامي.

التصوف ظاهرة مجلوبة نشأت خارج حضاراتنا

- بل إن مجمل مذهب إخوان الصفا يقوم أولاً على النظر في الرياضيات نظراً مملوء بالتلاعب والأعداد والحروف، ثم في الانتقال إلى المنطق والطبيعيات رادين كل شيء إلى النفس وحالها من قوى، ثم يمضون في بيانهم حتى ينتهون أخيراً إلى الاقتراب من معرفة الله على نمط صوفي خفي مشرب بروح سحرية. ونجد أثر هذه الفرقة الكبلاية عند أبي العباس المرسي" الذي يذكر لنا عبارة طريفة تجمع كل صفات الصوفي المشتقة من حروفه حيث يقول : الصوفي مركب من حروف أربعة : الصاد والواو والفاء والياء.

التصوف ظاهرة مجلوبة نشأت خارج حضاراتنا

. الصاد : صدقه وصبره وصفاؤه.

. الواو وجده ووده ووفاؤه.

. الفاء : فقره وفقده وفناؤه.

. والياء: هي ياء النسبة .

وإذا انتقلنا إلى ديانة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فإننا نلمح تطوراً يزيد مر
وضوحاً من السابقة، كانت أقرب إلى التمسك بالجانب الروحي من الحياة أكثر من الديانة الموسويه، ولقد كان
الإسلام على يقين تام بهذا الجانب الذي هو عودة الروح إلى قلب اليهودية، بل إن الوحي الإلهي المنزل على
الرسول العربي ،

التصوف ظاهرة مجلوبة نشأت خارج حضاراتنا

- بدأ يفتن بوصف عيسى بن مريم وأمه، وأن يضعه في سياق الأنبياء، وإن الناموس الطبيعي يتناوله، ولئن كان الله قد ميزه بميلاد اختلف عن غيره من الميلادات، فذلك ليكون آية صارخة لحفاة عتاة طال عليهم الزمن وقد قست قلوبهم، وتحجرت أفئدتهم، لنبي إسرائيل القساة الفجرة، فقد تتابعت أنبياؤه إليهم، بعد موسى وهارون أن يردهم إلى التوراة وأحكامه الحقة وأن يعدل من تصورهم المادي لكل شيء، أن يردهم إلى الروح وقد باعوها لشياطين أنفسهم المادية، وان يكشف عن كثافة الجسم اليهودي بعض ما ران عليه .

التصوف ظاهرة مجلوبة نشأت خارج حضاراتنا

لقد صور الإسلام الأديان السابقة على وجه الحقيقة المبسطة مما جعل أحد المسلمين التابعين يصور لنا المسيح في مناجاة بين ربه وبينه، هي أقرب صلة بالزهد بعد ظهور الإسلام.

وسيظهر أثر ذلك عند معظم المستشرفين الذين جعلوا الديانة المسيحية وعلى رأسها عيسى عليه السلام الذي اختص بلبس الصوف كمصدر هام للتصوف الإسلامي، فقد بلغ وهب بن منبه أن عيسى خرج على أصحابه وعليه جبة من صوف وكساء وتبان صافياً مجزوز الرأس والشاربين باكياً شعثاً مصفر اللون من الجوع يابس الشفتين من العطش، طويل شعر الصدر والذراعين والساقين.

التصوف ظاهرة مجلوبة نشأت خارج حضاراتنا

ومهما يكن من أمر هذا الرأي، فإن "سكاليجر" لا يأبه لرأي من يرى أن اسم الصوفية مشتق من الصوف، بل يقول بأنه أقل في قيمته من قبضة من الصوف .

. ومع ذلك فإن "سراج الطوسي " أقدم مؤرخ صوفي وصل إلينا كتابه، يرى أن الصوفية تنسب إلى ظاهر لبسهم «أي إلى لباسهم وهو الصوف»، ويقرر أنهم لم ينسبوا إلى حال ولا إلى علم كما نسب الزهاد إلى الزهد، أو المحدثون والفقهاء.

التصوف ظاهرة مجلوبة نشأت خارج حضاراتنا

- ويتفق معه "الكلاباذي في هذا الرأي مستشهداً بقول أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبياً حفاة عليهم العباء يأمون البيت العتيق وقول الحسن البصري : لقد أدركت سبعين بدوياً ما كان لباسهم إلا الصوف .

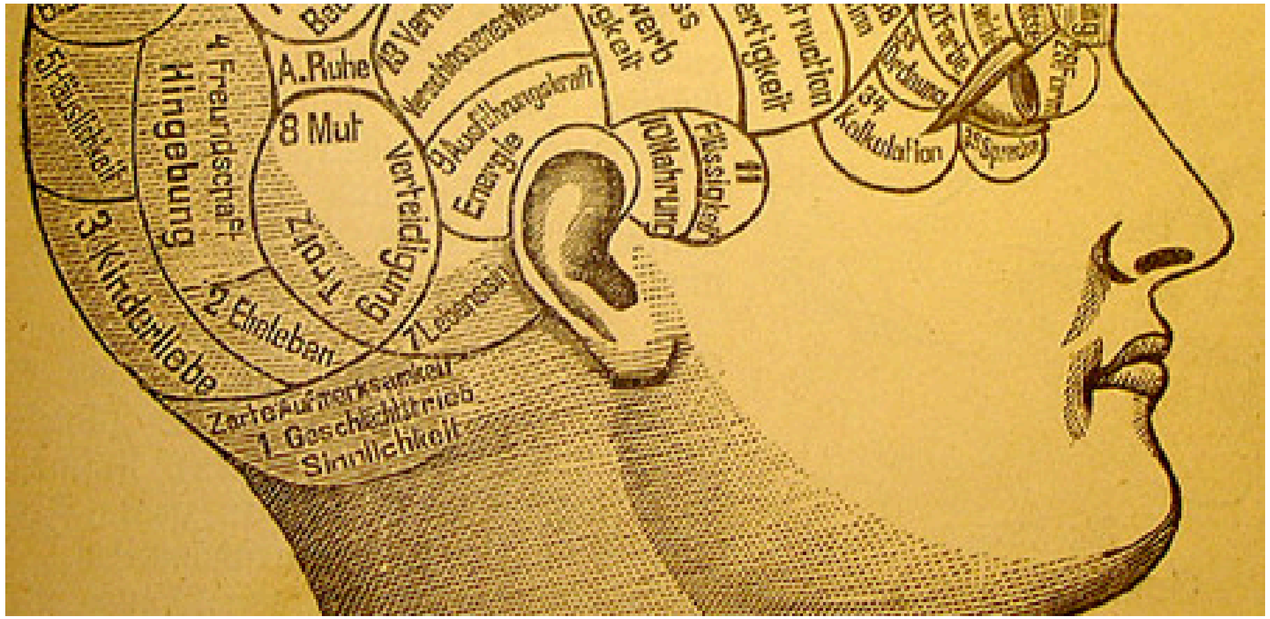

النشأة الذاتية للتصوف

- هل استمرت هذه الغرسة تتغذى من معين حياتنا اجتاحنا متمثلة في الامتاع الإسلامي؟.
- يرى فريق من المفكرين أنها تعود إلى أصل إسلامي، أي إلى الصفة، وهي زاوية أقامها الرسول ﷺ خلف مسجده بالمدينة، حيث كان بعض فقراء المسلمين يأوون إليها اتقاء الحر والبرد ، وهؤلاء نزلت فيهم الآية الكريمة : الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصِرُوا في سبيل الله لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً في الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفَفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ الْحَافِاً وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ(

النشأة الذاتية للتصوف

- يعطينا معنى مذهب زينون بصيرة بالأمور الجوهرية لمكانة الايليين لقد قال زينون أن الحركة والكثرة غير حقيقيين ، فما معنى هذا ؟ هل يقصد زينون أن يقول أنه عندما يمشي في شوارع مدينة ايليا فليس صحيحا خانه لا يمشى فيها حقا ؟ هل يقصد أن الأمر ليس واقعة من أنه يتحرك من مكان إلى آخر ؟ عندما أرفع ذراعي هل يقصد انني لا أحرك ذراعي بل تظلان حقا ساكنتين دائما ؟ لو كان الأمر هكذا فيمكن أن نستخلص تماما أن هذه الفلسفة هي مجرد جنون في التأمل أو أنها مجرد نكتة . لكن ليس هذا هو ما يقصده . ان رأى المدرسة الايلية هو أنه بالرغم من أن عالم الحس حيث له صفات جوهرية هي الكثرة والحركة قد يوجد الا ان هذا العالم الخارجي ليس هو الوجود الحق ، وهم لا ينكرون أن الحركة توجد

النشأة الذاتية للتصوف

- ومن هؤلاء بلال، وعمار بن ياسر، وصهيب وعبد الله بن عبد الأسد المخزومي، وعكاشة بن محسن الأسدي، والعرباض بن سارية، وسليمان الفارسي وجندب بن جنادة أبو ذر الغفاري، وخباب بن الأرت، وأبو لبابة الأنصاري بشر بن عبد المقدر وغيرهم.
- ولقد ظل هؤلاء الصحابة موضع عناية ورعاية من الرسول ﷺ فكان لا يتناول الطعام إلا بعد إطعامهم، ولقد بقوا على هذه الحال حتى جاء النصر من عند الله فانطلقوا ينفضون عنهم غبار الفقر، وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله : لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا من ديارهمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ(

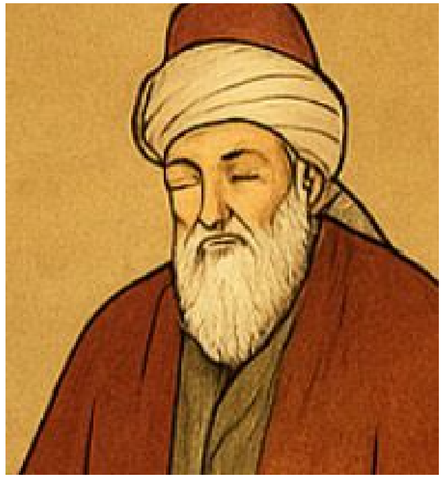

النشأة الذاتية للتصوف

- فالتصوّف لا يمكن إرجاع أصله إلى الصَّفَّة، ومن قال بذلك فقد أراد أن يجعل لهذا التصوف مصدراً إسلامياً عريقاً ودليلنا على ذلك الدليل اللغوي، فالنسبة إلى الصفة صفي لا صوفي.
- وقال فريق إن التسمية جاءت من الصفويين، من كلمة صفوي أو من الصف فالصوف روحانياً يُعتبر بين يدي الله في الصف الأول على غرابة هذا التعليل.
- وفريق من العلماء ينسبون التسمية إلى الصفاء أو الصفو، أي إلى الذين طهر الله قلوبهم، وعن ذلك قال ابن الجوزي:)) إن محمد بن ناصر عن إبراهيم بن سعيد الحبال، عن عبد الغني بن سعيد الحافظ أنه قال: سألت وليد بن القاسم إلى أي شيء ينتسب الصوفية؟ فقال: كان قوم في الجاهلية يقال لهم صوفية، انقطعوا إلى الله عز وجل، وقطنوا الكعبة.

النشأة الذاتية للتصوف

- ويرد "الدكتور الشيبي أصل التصوف إلى الشيعة وإلى عليّ بن أبي طالب بالذات فيقول: ((أن ابن خلدون قال: إن الصوفية قد تأثروا بالشيعة، وتوغلوا في الديانة بمذهبهم حتى جعلوا مستند طريقتهم في لبس الخرقة: إنّ علياً ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة)، ولكنَّ هذا الرأي، تثقله الثغرات الآتية:
- أولاً : كان للحسن البصري من العمر عند وفاة عليّ رضي الله عنه عشر سنوات، وهي سنن مبكرة لا تسمح له بتلقي الطريقة وفهمها .
- ثانياً : أما كان الأولى أن يختار سيدنا علي أبناءه وشيعته؟؟.
- ثالثاً : إن علياً رضي الله عنه كان من أشد الناس تعلقاً بالنبي، فإن نسبنا إليه أصل التصوف فكأنما ننسبه إلى رسول الله .

النشأة الذاتية للتصوف

وقد حدد "ماسينيون" أول تاريخ لظهور هذا اللفظ أي الصوفي بالنصف الثاني في القرن الثاني من القرن الثاني للهجرة مع جابر بن حيان الذي كان يسمى الصوفي، ومع أبي هاشم الكوفي الصوفي، وأضاف: إن جمع الصوفي على صوفية قد ظهر سنة 199هـ بمناسبة فتنة صغيرة قامت في الاسكندرية، بعد أن مقتصراً على من في الكوفة، حتى إذا مرت على ولادته خمسون سنة فيها صار يطلق هذا الاسم على كل صوفية العراق، أما في خراسان، وجهاتها فقد كان الاسم الغالب على الصوفية الملامتية .

النشأة الذاتية للتصوف

- هذا ويعتبر الأستاذ جبور عبد النور في التصوف عند العرب أن ليس الخرقة لا أثر له في الإسلام، وقد أخذه الصوفية عن الديانة البوذية، التي من شروطها كما يقول الزهد في الدنيا ، وحياة الفقر، وحلق الرأس ولبس الخرقة الصفراء.
- القول قول زكريا الأنصاري، وقد ركز على تعريف التصوف سلوكاً وعملاً، وأغفل سبب التسمية، وقياساتها واشتقاقاتها خلافاً لشيخه صاحب القشيرية الذي ركز على سبب التسمية، وخرج منها وهو غير قانع بها، وعرف الأنصاري التصوف في مكان آخر في تعليقه على رسالة شيخه القشيري فقال: التصوف هو علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل ال

النشأة الذاتية للتصوف

- يتبدى هنا تعريفان في قول الأنصاري لمعرّف واحد، هو التصوف، ففي التعريف الأول، قال: هو ترك الاختيار، وحفظ الحواس، مراعاة الأنفاس وغير ذلك.
- وفي التعريف الثاني، ذكر أنه علم، والعلم يضاف إلى غيره من العلوم التي لها قواعد، ومبادئ وأصول، متفق عليها .
- أما التصوف، كما عرفنا عنه في بدايته، فهو اختيار طوعي عند التصوف إن شاء التزم به، وإن شاء رفضه، وليس في رفضه أو الالتزام به تأثير على الحياة الذهنية، بعكس العلم الذي يعتبر رفضه أو الالتزام به تأثير على الحياة الذهنية بعكس العلم الذي يعتبر رفضه نقصاً على الفكر، وتخلفاً به وتضيعاً له.

طبيعة التصوف

- والجنيد يعطي عدة تعريفات للتصوف، فعندما سأله أحدهم عن ماهية التصوف قال له : ((التصوف أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة))
- فالصوفي : كالأرض يُطرح فيها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح والتصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع إتباع.
- أما "أبو بكر الشبلي" فيرى أن التصوف جلوس مع الله بلا هم، هو الذي ينقطع عن الخلق فيتصل بالحق، فهم أطفال في حجر الحق.
- ويفرق "الحسن بن منصور الحلاج بين المتصوف والصوفي، فالأول لا يزال يفرق بين الرب والعبد، والثاني اتخذ بالذات الإلهية حتى صار يتكلم باسمها !!!.

طبيعة التصوف

فالتصوف يقوم على تعذيب النفس بالجوع والسهر، وقلة الكلام، واعتزال الناس وإتباع المجاهدات، والتجوال في القفار، والإيناس بالوحوش والهوام وما إلى ذلك مما يقهر الإنسان مادياً ومعنوياً .

ومن الباحثين المحدثين الذي أورد تعريفاً عاماً للتصوف "الدكتور طلعت غنام"، في كتابه أضواء على التصوف، إذ يقول يرى المسلمون أن المقصود بالتصوف في عمومه، هو السير في طريق الزهد والتجرد عن زينة الحياة الدنيا، وأخذ النفس بأسلوب من التقشف، وأنواع من العبادة والأوراد والجوع والسهر في الصلاة أو تلاوة أوراد، حتى يضعف في الإنسان الجانب الجسدي ويقوى فيه الجاب النفسي أو الروحي، فهو إخضاع الجسد للنفس بهذا الطريق المتقدم سعياً إلى تحقيق الكمال الأخلاقي للنفس كما يقولون.

طبيعة التصوف

- ويضيف الدكتور غنام: الإسلام يتفق مع هذا، إذ هو يدعو إلى إخضاع الجسد او الحس للنفس والدين والعقل، ذلك لأن سلوك التصوف سلوكاً متزايداً مبالغاً . يقهر في النفس الإنسانية معنوياتها ، ويحاول في أحوال تطرفه أو مغالاته أوتفلسفه أن يباعد بينها وبين الحياة .
- ويتوسع الدكتور عند الرحمن بدوي في تفصيل هذين الأساسين في كتابه تاريخ التصوف الإسلامي، فيعتبر : ما يفيد بأن التجربة الصوفية يقتضي أن تقوم على أساس ملكة خاصة بواسطتها يتم الاتصال بالله عن طريق رياضة النفس بالجوع والسهر والسياحة والتأملات العميقة وفي هذا النحو تحصل المعرفة عند الصوفي بصورة تلقائية فيسيطر عليه شعور عارم بقوى تضطرم فيه كفيض من النور الباهر حتى يعمره، أو يغوص فيها كالأمواج العميقة، ويبدو له بعد استمراره على هذا السلوك أو إتباع هذه الطريقة أن قوى عالية قد غزته وشاعت في كيانه الروحي

طبيعة التصوف

وأما عن الأساس الثاني للتصوف فيقول الدكتور بدوي : هذا الأساس وهو يقوم على اتحاد الصوفي بالله ضروري جداً في مفهوم التصوف وإلا كان مجرد أخلاق دينية، ويقوم في توكيد المطلق، أو الوجود الحق أو الوجود الواحد الأحد الذي يضم في حضنه جميع الموجودات، حتى يصل المرء إلى مرتبة الاتحاد التام، ومن هنا كان طريق التصوف سلماً صاعداً ذا درجات نهايتها عند الذات العلية، وكان سفراً يرقى في معارج حتى يبلغ ذروة الاتحاد وجاء في كتاب تلبيس إبليس أن "السراج" قال: بلغني أن جماعة من الحلوبين زعموا أن الحق اصطفى أجساماً حل فيها بمعاني [illegible] معاني البشرية.

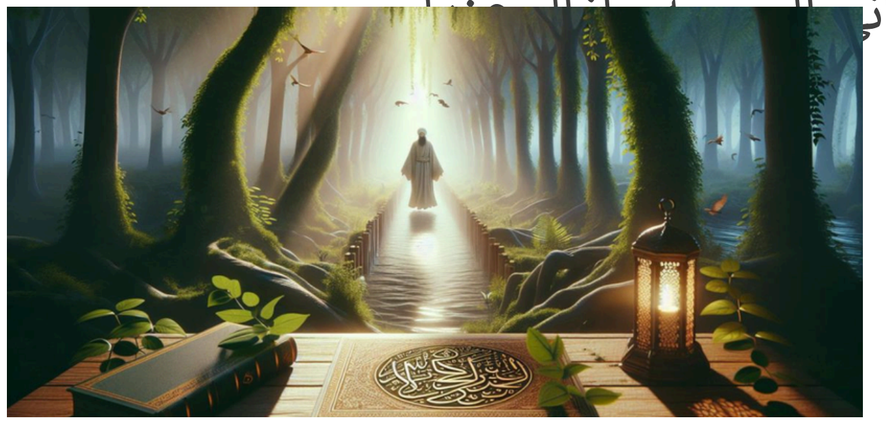

طبيعة التصوف

- نستخلص مما تقدم بأن التصوف يعني التخلي عن الدنيا بكل ما فيها عن طريق مجاهدة النفس، وإضعاف الجسد إلى حد التلف، والابتعاد عن الناس والتجوال مع مصاحبة الهوام، وإتباع ما أوجد الصوفية من أحوال وطرق ومقامات حتى تحصل للصوفي المعرفة بصورة تلقائية، فيعيش في حالة روحية علوية يترقى فيها من مرتبة إلى أخرى حتى يبلغ الاتحاد بالله أو ادعاء الألوهية، وهذا ما لا يتفق والإسلام، لأن مجاهدة النفس وقهر الجسد لا يؤدي فقط إلى قتل الغرائز والقضاء على الطاقة الواعية حتى يفقد الإنسان توازنه الفكري والروحي، ويفقد القدرة على الحكم على الأشياء حكماً صحيحاً .

طبيعة التصوف

- وبالطبع فالاعتقاد بحلول الله، أو الاتحاد بالله، أو بوحدة الوجود بينه وبين الله هو تفكير كفر وإلحاد، كما أن إتباع الطرق والأساليب التي من شأنها قتل فطرة الإنسان، والقضاء على خصائصه، هي أيضاً من القبائح التي يمقتها الإسلام عقيدة ومنهجاً، لذلك كانت كلمة صوفي في عصور اليقظة والقوة الإسلامية، تعتبر مرادفة لكلمة زنديق، وعنوناً على الإلحاد والبعد عن الحق، ولذا كان أهل التصوف يسترون تصوفهم تحت مختلف الأسماء، وكل ذلك من أجل إخفاء حقيقتهم الشعوبية والتعمية على أصولهم الأجنبية الغريبة عن الإسلام، وهي الأصول التي أخذوها عن الهنود القدماء، والمجوس، وفلاسفة اليونان.

طبيعة التصوف

- ومما لاشك فيه أن الفرق الإسلامية جسدت العقائد الإسلامية والفقهاء والأصوليون مثلو أحكام الحياة العملية وأسسها النظرية والفلاسفة بلوروا الحياة الفعلية الخاصة أما المتصوفة فقد مثلوا حالة التوتر في الحياة الروحية، ولكن هذه الحياة الروحية ارتكبت في بعض توجهاته متن الشطط والمبالغة عندما حاولت أن تتخطى حدودها وهي نسبية وروحانية وتعانق الحقيقة المطلقة الله تعالى بما يتعارض مع الواقع النسبي، وكان على هذا التوتر الروحي للتصوف يترسم حدوده ويبقى ضمن هذا الإطار والقرآن الكريم أظهر لنا هذه المسألة عندما قال: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ في الله وَهُوَ شَدِيدُ الْمحال ، إذن هناك استحالة في معرفة الحقيقة المطلقة، فكيف يتجرأ بعض المتصوفة، ويتحرسون فيما هو أبعد من ذلك يدللون بالاتصال أو الاتجاه و

مصادر التصوف

ما هي المصادر التي استقى منها التصوف الإسلامي أفكاره وتعاليمه؟.

لقد رد بعضهم ذلك إلى أصل صيني أو هندي أو يوناني وفارسي، بينما رد فريق آخر ذلك إلى الطريق التي يسلكها الرهبان النصارى، فضلاً عن أن الصوفيين يردون هذا المصدر إلى الإسلام، معتمدين في ذلك تارة على عيش أهل الصفة وتارة على آيات من القرآن الكريم، أو على أحاديث للرسول ﷺ.

فأما نسبتهم لأهل الصفة، فقد رأينا أن ظروف العيش القاسية، قد أجبرت أهل الصفة على الضعف والاستكانة ردحاً من الزمن، حتى إذا ما حان الوقت خرجوا للجهاد، إلى الانطلاق في الحياة بصورة طبيعية.

مصادر التصوف

- أما الاعتماد على آيات من القرآن الكريم، فقد أولوا الآيات تأويلاً لا يتفق وحقيقة التنزيل، حتى أن الباحث يجد أحياناً في تأويلهم ما لا يتفق مع أبسط القواعد العقلية.
- وإذا كان الإسلام فما هي مصادر التصوف ؟
- أولاً - المصدر الصيني:
- الصلة بين بلاد العرب وبلاد الصين قديمة جداً، ترجع إلى بضعة قرون قبل الميلاد، أما اتصال المسلمين بالصين فيرجع إلى بداية القرن الأول الهجري، ولكن تلك الصلات لا تعني أن المسلمين الأوائل أخذوا عن أهل الصين تعاليم يمكن إدخالها على دينهم، فقد كان همهم في فجر الدعوة تنشر الإسلام وتلقينه للناس.

مصادر التصوف

- وننوه بأنه عاش في الصين أيام الحكيم كونفوشيوس رجل يقال له لاوتسو"، رفض متع البشر، وأراد الإصلاح في بني قومه، فلما يئس منهم، ارتحل عنهم فصادف في طريقه رجلاً كتب إليه كتاباً أودع فيه تعاليمه الصوفية التي تقوم على ترك العمل وشؤون الحياة، كي يستطيع الإنسان الذي يقال له التاوي الاتصال بالتآوي القدرة الغيبية التي يجب الإيمان بها، من خلال المراحل الآتية:
- -تزكية النفس وتطهيرها .
- -الإشراق، ينال التاوي الإنسان هذه المرتبة بعد أن يستغنى عن التكلف في إتيان الفضائل، بحيث يصبح هذا الاستغناء سجية منه، نابعة من نفسه .

مصادر التصوف

- -الاتصال بالتاوي، وفي هذا الاتحاد تصبح للتآوي الإنسان صفاتها ذاتها وإدراكها ذاته، وقد عبر لاوتسو عن ذلك بقوله : إن الإنسان يستطيع أن يفرق كل ما في العالم من غير أن يخرج عن باب داره..
- هذه التعاليم التي ظهرت في الصين، نجدها في تعاليم الصوفية في العالم الإسلامي، ولذلك يعتبر الدكتور فروخ أن هنالك صلة وثيقة بين التصوف الإسلامي وبين فلسفة الحياة الصينية

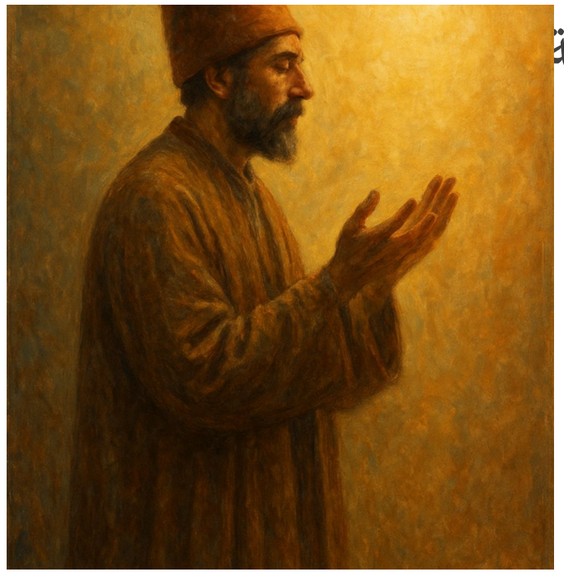

مصادر التصوف

- لقد اشترك العرب فالصينيون نظروا إلى الحياة على أنها سفر، كذلك فمتصوفة الإسلام يعتقدون الله أن يتجلى للمتصوف في ما خلق، وهكذا رأى الصينيون في تاوي، واتفقوا جميعهم على أن العلة الأولى لا تدرك بالحواس ولا توصف بالتشبيه، وقد أصر الجميع على أن يكون للسالك منهاج خاص، وأن لا يقلد أحداً في حياته الصوفية، والطرفان وضعوا لبلوغ الاتحاد بالعلة الأولى رياضة خاصة ذات مراتب هي عبارة عن المقامات والأهوال، فتركية النفس وتطهيرها عند الصينين يشبه مقام التوبة والورع عند المسلمين، والإشراق الصيني يشبه الكشف عند صوفية المسلمين، والاتصال والاتحاد يشبه الفناء

مصادر التصوف

- ثانياً - المصدر الهندي:
- التصوف عرف بالهند بكل اتجاهاته وأشكاله، ويتجلى بوضوح في معتقدات البراهمة والبوذية.
- فعقيدة البراهمة تتخلص بأن على الإنسان أن يجاهد في حياته كي يخلص نفسه من استعباد الجسد، ثم يترقى حتى يتمكن من الاتحاد بالروح الكلي أو يراهما، وقد أخذت الصوفية عن البراهمة مذهبين من مذاهبهم الأساسية
- . وحدة الوجود .
- . وطريق الهداية.

مصادر التصوف

- وأما عن المذهب الثاني فيرى الأستاذ محمد البهلي النيال، في كتابه الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي أن مما أخذه الصوفية عن البراهمة وغيرهم من الأمم الأخرى، أن الهداية لا يصل إليها العقل بمنطقه، وإن الوصول إلى الحقائق لا يتأتى إلا بمحض البصيرة، وهذا ما تورط فيه الإمام الغزالي، وإلا فما هي البصيرة : أليست هي مميزة العقل في الإنسان ؟ ويعتبر الأستاذ النيال أن مذهب اليوجا هو من تصوف الهند واليوجا هم طائفة يعذبون أنفسهم من أجل أن يظفروا بس[illegible] المعرفة، ولطريقتهم مقامات شبيهة بمقامات صوفية الإسلام.

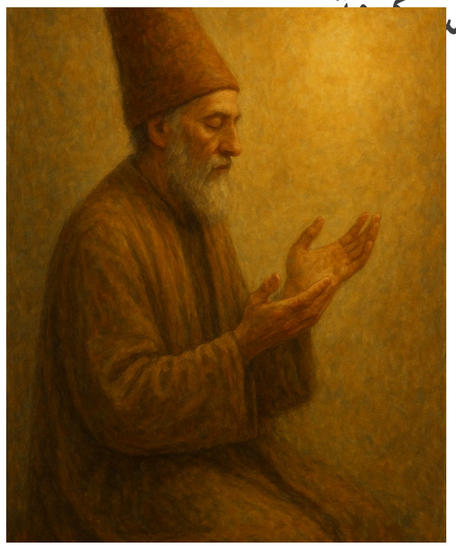

مصادر التصوف

- ومن هذه المقامات :
- -تأمل الغيبوبة بحيث يمحى من الذهن كل تفكير، وطبعاً فهذا التعميم لا نقره وسنرى أن هنالك نرفق فقط إلى ازكاء النفس وتطهيرها من الكدر والدرن والفساد .
- -موت الشهوة وتحرير النفس من كل رغباتها، وتمني الخير للكائنات جميعاً .
- -إيقاف كل حس لدى الإنسان عن طريق تعويد الجسد على وضع معين وتنظيم التنفس كي يفرغ العقل مما يشمله.

-النظافة والتطهر والتقوى.

مصادر التصوف

- -تكرار المقطع أوم وهو مثل الذكر هو، هو، هو عند الصوفية وأما البوذية فهي مذهب ديني نشأ في الهند على يد بوذا الذي كان أحد أبناء الملوك لكنه تخلى عن العرش ليعتزل الدنيا وزخارفها حتى تحقق له الفناء المطلق أو النيرفانا .
- وقد فسر "الدكتور فروخ" النيرفانا بأنها تنطوي على معنيين
- الأول الاضطراب والتشاؤم الذين ينتج عنهما اعتقاد بأن هذا الوجود هو عذاب وشقاء.
- والثاني النعيم النفساني يرى البوذي خيراً من كل وجوده.

مصادر التصوف

- ومن النظريات التي تقول بها بعض الديانات الهندية التناسخ الذي يقوم على أن الأرواح لا تموت ولا تفنى، بل تنتقل من كائن حي غلى كائن حي آخر، إما بصورة اطرادية نحو الأعلى وإما نحو الأسفل : فالأرواح الخيرة تنتقل من الحسن إلى الأحسن وترتقي في معارج الكمال حتى يتحقق بثوقها ويتخذ العقل والعاقل والمعقول فيصيروا واحداً، والأرواح الشريرة تنتقل من بدن الإنسان إلى النبات أو مرذول الهوام، ولقد أخذ بذلك الصوفية في الإسلام كما يقول البيروني« حين قالوا : إن الدنيا نفس نائمة والآخرة نفس يقظى.

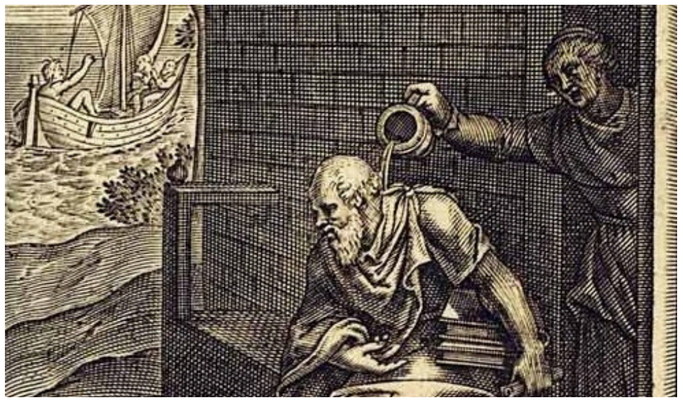

مصادر التصوف

- وفي ما يتعلق بتربية المريدين والأتباع، لا تختلف طريقة الصوفية عن الطرق التي اتبعها الهنود في ذلك، وخاصةً ما هو لدى البرهمانية التي تفرض طريقتها أن يتعلم البرهمي في سن معينة علم الكلام والشريعة، من أستاذ يعيش معه ويقوم على خدمته فيغتسل في اليوم ثلاث مرات، ليقدّم في كل مرة قرباناً للنار، ثم يحنو على قدمي أستاذه بعد القربان، ولا يخرج هذا البرهمي من بيت أستاذه إلا لكسب القوت، وإن تسوَّلاً فيأتي بما يحصل عليه ويقدمه لأستاذه كي يتخير منه ما يشاء ثم يترك له ما فضل عنه، وهل هذا غير ما يقوم به الصوفية، أو على حد تعبير أحدهم : أن يكون بين يدي شيخه مثل الميت بين يدي الغاسل؟.

مصادر التصوف

- ثالثاً - المصدر اليوناني:
- والتصوف الذي استقى من مصادر يونانية إنما يعود بشكل أساسي إلى الأفلاطونية الحديثة، فهي مزيج من مذهب أفلاطون والنصرانية، بدأ بها فيلون الاسكندري ، وحددها .ويرجع المصدر اليوناني في التصوف، في أساسه إلى فيثاغورس، ومن نظرياته أن النفس تتصل بالملأ الأعلى، وذلك عندما يحسن الإنسان تقويم نفسه بالتبرؤ من العجب والتجبر والرياء والحسد، ومن شهوات الجسد ، بحيث يصبح أهلاً لأن يلحق بالعالم الروحاني اليوناني فوق عالم الطبيعة ولا يختلف أفلوطين كثيراً عن فيثاغورس في نظرية اتصال النفس بالملأ الأعلى إذ يعتبر أن النفس كانت قبل اتصالها بالجسد مع الله في الملأ الأعلى، ثم هبطت إلى العالم الأرضي وأصبحت خاضعة للتناسخ في البشر والبهائم والنبات، فإذا أرادت الرجوع إلى الله فلابد لها من أن تتحرر من شهوات الدنيا.

مصادر التصوف

- ومن أفكار الأفلاطونية الحديثة نظرية الفيض التي تعتبر أول فيض من الله كان العقل الأول، ومنه استمدت جميع الموجودات وجودها ، ومنه تصدر الفيوضات الأخرى.
- وهذه النظريات هي نفسها التي أخذ بها الصوفية، فهم يرون بأن المعرفة الحقيقية لا تحصل عن طريق الحسن أو العقل، بل بنور يقدمه الله في قلب العبد بعد أن يكون قد تخلص من كدر الدنيا وشوائب المادة، وتحقق له الفناء في ربه والاستغراق في ذاته، استغراقاً تزول معه الفوارق.

مصادر التصوف

- وما قال به فورفوريوس هو أيضاً ما اعتنقه ابن عربي في وحدة الوجود، وعمر بن الفارض في نظرية وحدة الشهود ..، أما نظرية الفيض فقد عبر عنها ابن عربي بالحقيقة المحمدية التي اعتبروا أول فيض من الذات الإلهية، والموجودات الأخرى هي فيوضات لها ، وهي نفسها التي قال بها شهاب الدين السهروردي الحلبي القنول في حكمته الإشراقية، التي يتصور بها الله نوراً فياضاً بالأنوار الباهرة.

مصادر التصوف

- رابعاً - المصدر الفارسي:
- يبدو أن ما عُرفَ في فارس من مانوية وزرادشتية كان مؤخوذاً في معظمه عن البوذية والبراهمانية الهنديتين، وخاصة ترك الملذات وليس المرقعات، وتلك المعتقدات سوق تظهر في حقبة لاحقة على دخول الإسلام بلاد فارس الذي كثر فيه المشتغلون بالعلوم والفلسفة والتفسير، كما كثر فيه أهل الكلام، وكانوا جميعاً، أو في الغالب، من الأعاجم.
- ومن مظاهر تلك المعتقدات المجوسية التي كانت سائدة مثلاً عبادة النار، والإرهاب النفسي، والانحلال الخلقي، وما تبع ذلك من فساد في بناء المجتمع وكيانه.

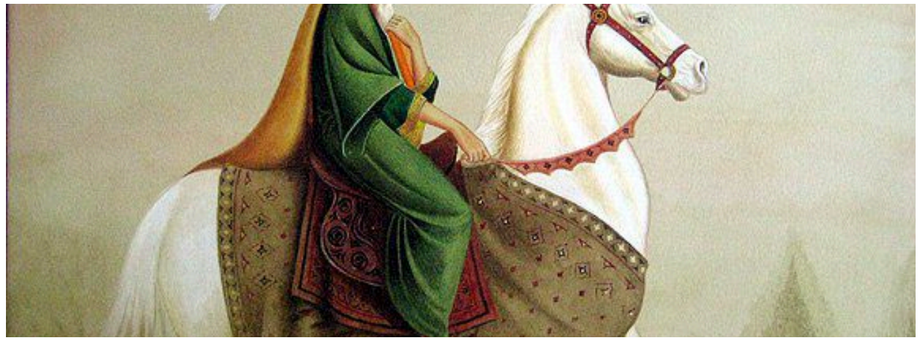

مصادر التصوف

- لقد أدرك الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك، فكان يلح في تحذير المسلمين بقوله : إياكم وأخلاق الأعاجم، وبقصد بهذا التحذير كل ما هو غريب عن جوهر الإسلام، ولا سيما المعتقدات المجوسية التي كانت تبدو في ظاهرها نوعاً من الزهد والتعفف، بينما في الحقيقة تميت شخصية الإنسان وسلامة فطرته.
- ويبدو أن صرخة سيدنا عمر التحذيرية لم تلق التجاوب المأمول، فظلت تلك الفئة المترددة على حالها، فكان لذلك أبعد الأثر على حياة المسلمين، فلما جاءت الصوفية استغلت هذا الوضع، وراحت تعمل من خلاله على نشر معتقداتها، وتزيين آرائها .

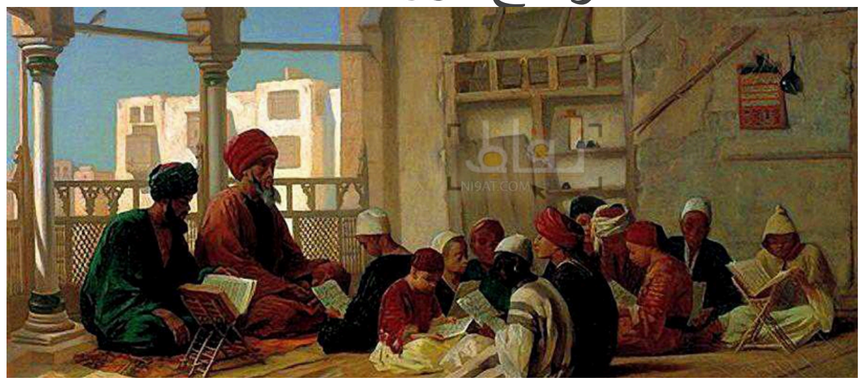

مصادر التصوف

- وظهرت جماعة أخرى سعت وراء مآرب سياسية، فراحت تعمل على إشاعة الفوضى ونشر الخرافات، حتى إذا ما أصيب العرب المسلمون بداء الترف هبت تلك الجماعة المتربصة، في شعوبية لئيمة، تعمل على تشويه مفاهيم الإسلام فاستنبتوا التصوّف، يتظاهرون بالزهد والتقشف والعبادة، في حين أنهم كانوا يعملون في الخفاء على بذر سموم الشك في العقيدة .
- ولعل أبشع ما اتبعوه إغراء الناس بمظاهر الدروشة، وإغواؤهم عن طريق الترخيص بأوامر الله من حيث إباحة المحرمات، وتحريم الطبيات، وتأويل القرآن، ووضع الأحاديث تقولاً على الرسول ﷺ ، وادعاء رؤية الملائكة ومخاطبتهم، وعلم الغيب.

مصادر التصوف

- لقد تفشى التصوّف في العالم الإسلامي يدعو الناس إلى الانكماش والعزلة ويحبسهم في معتقلات الجهل، وترويج الكلام في المقامات والأحوال، حتى حرف الأمة عن وحدة الكلمة، ودفع بحيويتها المتدفقة في دائرة الجدل العقيم حلو التفسيرات المغلوطة، والتأويلات المدسوسة، فتكاثر في ذهن الأمة الميل إلى الضياع والعجز والرضى بالذل والمسكنة، هذا فضلاً عن إشاعة الأوراد والأحزاب التي تشبه ترانيم الكهانة القديمة لصرف الناس عن تلاوة القرآن وتدبر معانيه

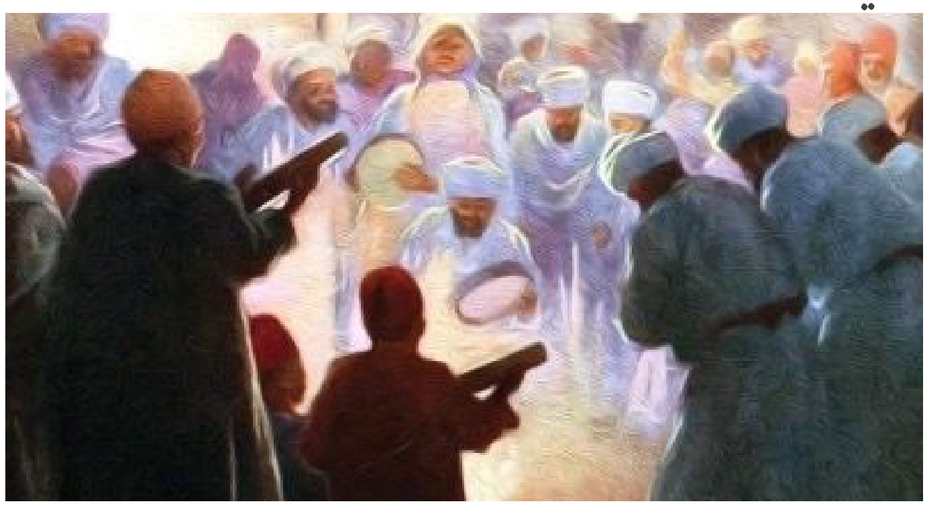

مصادر التصوف

- خامساً - المصدر اليهودي
- لم يتخلق اليهود بأخلاق العرب البدو، بل ظلت صفاتهم الغالبة الدس وإذكاء نار الفتن بين القبائل إلا أن طباع لم تألف لهجتهم في الحياة، فلم يتمكنوا من بناء وحدة دينية أو سياسية تفرض آراءها وتكون لها السيطرة فاستثمروا مشتتين في البلاد، إلى أن ظهر ضعف الدولة الإسلامية، فكانوا من بين الشعوبيين الذين عملوا على تفويض أركان هذه الدولة، وتزوير تاريخها بما أدخلوا من تعاليم عرفت بالإسرائيليات، وهذا ما حدا المستشرق جولد تسهير إلى اعتبارهم أن الصوفية المسلمين تأثروا باليهودية، وهذا هو ما ذهب إليه الشهرستاني في الملل والنحل الذي قال :)) وجدوا التوراة ملئا بالمشابهات مثل الصورة والمشافهة والتكلم جهراً مع الله، والنزول في طور سيناء انتقالاً، والاستواء على العرش استقراراً، وجواز الرؤية فوقاً ، ولما وجدوا يعني بهم الصوفية الفرق اليهودية البوذعانية وغيرها تقول بأن للتوراة ظاهراً وباطناً، أكدوا ذلك على أساس المنهج الصوفي ..

مصادر التصوف

- ولقد أظهر الدكتور طلعت غنام المصدر اليهودي للتصوّف مقال: وقد سجلت هذه المواقف التي عاشتها النظريات الصوفية في مجال الأديان الثلاثة ونص ترجمة التوراة هكذا : جاء الله من سيناء وأشرف من ساعير واستعلن من جبال فاران.
- ويفسر تلك الترجمة بقوله ومعنى أن طور سيناء مظهر موسى عليه السلام في الوادي المقدس، وأن ساعير جبال فلسطين مظهر عيسى عليه السلام وأن فاران إعلان الله رسالته الأخيرة حقيقة ومظهر محمد .

مصادر التصوف

- فإذا تفحصنا "فيلون" الفيلسوف الصوفي اليهودي، فإننا ندرك مدى تأثر الدوائر الصوفية في الإسلام بالمصدر اليهودي الشرقي الذي كان له الأثر في الأفلاطونية المحدثة والدوائر المسيحية وإذا أخذنا بنظرية الدكتور غنام من أن المستشرق جولد تسهير هو يهودي، وهو حامل لواء راية تأثر الصوفية المسلمين باليهودية، فذلك كاف لأن ندرك كم كانت شهوة اليهود شديدة، وخاصة المستشرقين منهم، إلى تشويه الإسلام بإدخال الأفكار الغربية عليه، ومنها الأفكار الصوفية.

مصادر التصوف

- سادساً - المصدر النصراني:
- وتشير بعض المصادر إلى أن حنظلة الطائي ترك قومه من أجل التنسك، فأقام ديراً بالقرب من شاطئ الفرات قضى فيه باقي عمره حتى مات، وأن أمية بن أبي الصلت لبس المسوّع نسبة إلى يسوع تعبداً، وقد انعكس ذلك في شعره الزهدي في الدنيا .
- وقد ذكرت المصادر التاريخية أنه قامت على أطراف الجزيرة قبائل من العرب دخلت في النصرانية، كالغساسنة وقبائل كلب وقضاعة وجذام الذين تنصروا مسايرة لأسيادهم الروم، كما أن قبائل من العراق كانت قد اعتنقت النصرانية قبل الإسلام كتغلب وإياد وبكر وغيرها .

مصادر التصوف

- على أن عدم تأثير النصرانية على الفكر العربي لم يمنع المتصوفين الأوائل من الوقوف على أخبار الرهبان حول المجاهدات النفسية والانصراف إلى التعبد في الصوامع، بل إن كثيراً منهم كما يدعي ابن عربي في محاضرات الأبرار« كانوا يجتمعون إلى الرهبان النصارى ويستشيروهم، كما يروى عن عبد الواحد بن زيد والعتابي، وأبي سيلمان الداراني وغيرهم.
- ويتحدث الأستاذ عبد حلو عن الطرق العملية التي تأثر فيها الصوفية بالنصارى فيرى بأن ما أخذه الصوفية من تنظيمات إدارية ومسلكية، في التكايا والزوايا وأماكن تجمعهم، أشبه ما يكون بنظام الأديرة، ويُعرف عندهم بالخانقاوات .

مصادر التصوف

- هذا ويذهب "الأستاذ النيال" في كتابه الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي إلى أنه الصوفية ما كان لها أن تعيش لو لم يكن الصوفية بين المسلمين من ضحايا شدة الحب في الله، ويتابع القول:)) ومع ذلك فقد أنكر عليهم الفقهاء غلوهم، ونعتوهم بالرهبانية.
- وهكذا يتبين لنا ، كم هي عديدة المصادر التي استقى منها الصوفية، وهي جميعها غريبة عن الإسلام.. ومجرد كونها من هذا الدين الحنيف الذي تمكن فيه الحقائق المطلقة عن الكون والحياة والإنسان يعني أنها تحريف لحقائقه.
- ونختتم هذا البحث بالقول إن الخلاف بين الإسلام والصوفية، ليس خلافاً حول مسائل فقهية، أو اختلافاً حول اجتهادات في قضايا فرعية، وإنما هو نزاع رئيسي حول فهم حقيقة الله تعالى وفهم الكون والحياة والإنسان.

مصادر التصوف

- ويتركز الخلاف حول نقطتين أساسيتين :
- الأولى - موافقة الإسلام للفطرة الإسلام يدعو لحياة قوامها الاستخدام الأمثل لقوى العقل، وطاقات النفس والبدن، فيما يمنع الناس فَأَقَمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنِيفاً فطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، وإذا لم يجهد المسلمون الأولون ليكونوا مبتدعين، أو ليكونوا من الفلاسفة أو المتصوفين، وإنما اكتفوا بأن يكونوا من العابدين الخاشعين، ومن المجاهدين الصادقين، وقد أدركوا بالفطرة السليمة بعض الحقائق فالتزموها ، دون أن يجدوا أنفسهم بحاجة إلى تعليلها أو حتى مجرد التحدث عنها، وهذه الحقائق هي :
- أولاً : أن المسلم لا يرضى بحياة الضعف فهو السعي لاكتساب القوة، لا ينفك عاملاً على استكمال أسباب القوة الذاتية لنفسه ولأمته .

مصادر التصوف

- ثانياً : أن العقل هو الخصومة الأولى للإنسان، وأننا محاسبون أشد الحساب على استخدامه أو إهماله.
- ثالثاً : أن العمل الصالح هو السلوك الفطري الصحيح في الحياة في ظل عقيدة التوحيد .
- فإذا علمنا بأن التصوف هو الحالة التي تستل فيها من الأجسام عافيتها بالجوع والحرمان، ومن المعقول جذوتها بتحذير القوى المدركة وتشتيتها في متاهات الروحانية بدعوى العمل للآخرة، صح لنا أن نقول بأن التصوف خطأ في فهم الحياة يعارض الفطرة القويمة الم

مصادر التصوف

- الثانية - الفصل بين القول والفعل عند الصوفية
- لقد أراد الصوفية أن يتستروا بالإسلام، لتحقيق أغراضهم ومآربهم، فقد نمقوا الكلام، وزينوا الأفعال، فادعوا الطهر والبراءة والعبادة، بينما انغمسوا في الفحشاء والمنكر ومخالفة الأحكام الشرعية حتى وصفهم الفقهاء بالزنادقة فقد عمدوا إلى التأويل وانحرافات التفسير والحيل والمخارج في الفقه، والتعطيل والتجسيم في العقائد، حتى إذا أجهضت الكلمات من معانيها ، قالوا بأن الكلمات معاني ظاهرة وأخرى باطنة، في حين كان منهج المسلمين في صدر الدعوة يقوم على فهم الكتاب والسنة فهماً عملياً.

مصادر التصوف

- أما في ما خص نظرتهما إلى الواقع، فالإسلام يقوم على مباشرة الواقع بالسلوك الصحيح، بحيث يتم انطباق عمل الإنسان على الكلمة الخالدة من عند الله، والمفهوم الصحيح لحديث الرسول ، في وحدة لا تنقصم، وفي القرآن الكريم حيث يذكر الإيمان يذكر العمل الصالح، إذ هو الترجمة الواقعية لمفهوم الإيمان، في حين أن التصوف يقوم على الهرب من الواقع والانسحاب من الحياة، والتلهي بالنظرة الفلسفية التي تقف عند مشكلات التفسير والرأي والخلافات المذهبية للكلمة والعبارة ثم الانتهاء إلى إحلال الجدل محل العمل هذا مضافاً إلى أن الإسلام يقضي باستخدام العقل في مواجهة الأحداث والمواقف، مع قوة التوجه إلى الله تعالى بالعمل الصالح، والتصوف يواجه المسائل بمنطق الكهانة المتمثل بانتظار المصادفة السعيدة أو التماس الخير بالتما
المشاكل الحياة.

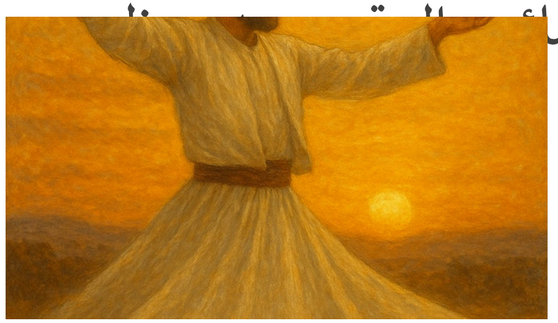

هل التصوف علم أم سلوك وطريقة ؟

- ذكر "زكريا الأنصاري شارح رسالة القشيري« أن التصوف علم هدفه تزكية النفس وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن وأورد ابن خلدون في الفصل الحادي عشر من المقدمة.
- هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم، لم تزل عند سلف الأمة، وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، طريقة التي والهداية، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة وللعبادة.

هل التصوف علم أم سلوك و طريقة ؟

- وهو كلام، لا يقتدر أهل النظر إلى تحصيل مقتضاه لغموضه وانفلاقه وبعد ما بين كلام صاحب المشاهدات والوجدان، وصاحب الدليل، وربما أنكر بظاهر الشرع هذا الترتيب. والحق أن كلامهم معهم فيه تفصيل، فإن كلامهم في أربعة مواضيع
- 1- أحدها الكلام على المجاهدات، وما يحصل من الأذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الأعمال، لتحصيل تلك الأذواق التي تصير مقاماً ويترقى منه إلى غيره.
- 2- ثانيها الكلام في الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي، والملائكة، والوحي، والتبوء والروح، وحقائق كل موجود غائب، أو شاهد، وتركيب الألوان في صدورها عن موجدها وتكونها .

هل التصوف علم أم سلوك و طريقة ؟

- 2- ثانيها الكلام في الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي، والملائكة، والوحي، والتبوء والروح، وحقائق كل موجود غائب، أو شاهد، وتركيب الألوان في صدورها عن موجدها وتكونها .
- 3- ثالثهما التصرفات في العوالم، والأكوان بأنواع الكرامات.
- 4- ورابعها، ألفاظ موجعة الظاهر، صدرت من الكثير من أئمة القوم، يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحات تستشكل ظواهرها فمنكر، ومحسن، ومتأول .

خلاصة

- نلاحظ في البحث السابق أن المؤلف غلب وجهة النظر التي تدلل بأن التصوف ليس علماً ، ونحن بدورنا نؤكد أنه علم ونستند إلى السببين الآتيين:
- 1-وصنف "الشيخ أحمد زروق البرنسي الفاسي كتاباً موسوماً بعنوان قواعد التصوف، وقد ضم هذا الكتاب بين دفتيه 217 قاعدة، ومن هذه القواعد على سبيل المثال القاعدة 126 المتضمنة حاجة الصوفي إلى الفقه، والقاعدة 31 المتضمنة أن الفقه مقصود لإثبات الحكم، ثم القاعدة 32 ومفادها أم مادة الشيء مستفادة من أصوله، والقاعدة 36 ومضمونها ضبط العلم بقواعده. فالكتاب في نهجه يسير على هذا المنوال معتمداً القواعد منتهياً إلى وضع ضوابط وأصول عامة للتصوف وهي:
- 1- تقوى الله في السر والعلانية. ٢. - إتباع السنة في الأقوال والأفعال.

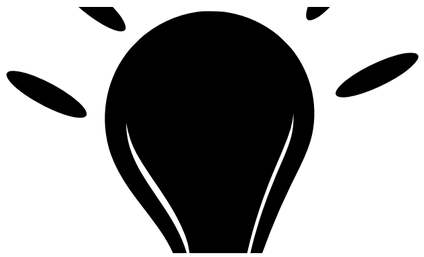

خلاصة

- 3- الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار.
- 4- الرضا عن الله في القليل والكثير.
- 5- الرجوع إليه في السراء والضراء.
- وفضلاً عن ذلك فهو القائل: لا تصوف إلا بفقه مستشهداً بقول الإمام مالك:
- من تصوف لم يتفقه فقد ترتدف، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق .
- إذن فهل نحن بحاجة إلى دليل أقوى من الدليل السابق بأن التصوف علم وإن كان ذلك لا يمنع القول بأن هذا يخالطه سلوك ينحدر إلى مستوى الواقع فعلي بل ذاتي.

مدارس التصوف فى التاريخ الإسلامى

- لم يكن الزهد في العصر الإسلامي المبكر حركة من الحركات الدينية ولا مذهباً من المذاهب ولا نظاماً جماعياً، بل كان نزعة فردية رائدها الدين وحده ففي هذا العصر كان المسلمون منصرفين إلى الجهاد الذي هو التصوف في الإسلام بدليل قوله : إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَهْبَانِيَةً وَرَهْبَانِيَّةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْجِهَادُ فِي سبيل الله ، ولكن سرعان ما تحول هذا الزهد البسيط إلى زهد عميق معقد، وأصبحت له حياة منظمة وقواعد وشروط وشيوخ، حيث ظهر بعد الزهاد الأوائل زهاد آخرون سموا أنفسهم بأسماء مختلفة كالقصاص والبكائين والوعاظ، وأصبح لهؤلاء حلقات يعقدونها للوعظ والقصص والتعليم صارت فيما بعد نواة لمدارس الزهاد التي بدأت تظهر بعد القرن الأول الهجري بقليل، وتتمثل هذه الصفة بوضوح عند أحد وعاظ مدرسة بغداد ألا وهو "منصور بن عمار"

مدارس التصوف فى التاريخ الإسلامى

- تقسيماً للمدارس المختلفة في التصوف الإسلامي الأول، يتضح من التقسيم الآتي :
- أولاً- مدرسة المدينة والبصرة من المعلوم أن بذور الحياة الروحية في الإسلام انشقت في المدينة عاصمة الإسلام الأولى، فمن المدينة ظهرت الميول الصوفية الأولى في صورة تنسك شديد، وقد تحقق ذلك في حياة الخلفاء الأربعة وفي حياة أهل الصفة، وظل الأمر على هذا النحو حتى بعد أن انتقلت قاعدة الخلافة إلى دمشق زمن الأمويين.

مدارس التصوف فى التاريخ الإسلامى

- لقد اتخذت البصرة موقفاً محايداً في السياسة والذين مما كان له أثراً في تنمية الزهد وإقامته على أسس عقلية وفقد حاول الحسن البصري أن يؤسس نظاماً إسلامياً كاملاً مستمداً من القرآن الكريم والسيرة -النبوية وعلى هدى الخلفاء الأربعة الأول ذات الطابع النسكي البارز .
- كنا نجد رأياً آخر عند الدكتور أبو العلا عفيفي يذهب فيه إلى أن مدرسة البصرة تأثرت إلى حد ما بثقافة الهند لاسيما في الناحية العملية من التصوف، تعذيب البدن بالصوم ونحوه .

مدارس التصوف فى التاريخ الإسلامى

- ثانياً - مدرسة الكوفة والأهواز
- قبل عام 150هـ ظهر لأول مرة في الكفر الإسلامي نوع خاص من التصوف، فقد عرف أبو هاشم عثمان بن شريك الكوفي لأول مرة بأنه صوفي، فقد نبذ حياة اللهو وارتدى جلباباً من الصوف وقبع وحيداً في صومعته، وكان يؤمن إيماناً راسخاً بعقيدة الجبر التي لقنها لتلامذته.
- وبعد أبي هاشم بوقت قصير ظهر في الكوفة جماعة معينة سميت بالروحانيين على رأسهم حبان الحريري / وكليب ، فعلى يديهما ظهر تحول كبير على حياة الزهد الأولى، فلم يعتدا مظاهر.

مدارس التصوف فى التاريخ الإسلامى

- ومن الكوفة انتشر التصوف إلى إيران حيث كانت المزدكية منتشرة، ولكن فكرة التجسيم تطورت هنا بشكل مختلف، فبدل تجسيد الله ظهرت فكرة تأليه الإنسان، وكانت هناك صورتان لفكرة التأليه :
- . الأولى: هي ما يعرف باسم حلول اللاهوت في الناسوت.
- . والثانية: هي اتحاد الإنسان بالله.
- وكانت هذه النظرية تلفت بصورة ثورية عقائدية، وصلت روح الثورة تلك الذروة في أعمال أبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج.

مدارس التصوف فى التاريخ الإسلامى

- والخلاصة فالتصوف اتخذ مظهراً مطالباً في الأهواز في فكرة الحلول، أما في بغداد فقد اتخذ طابعاً معتدلاً متمثلاً في الفناء، وإذا انتقلنا إلى بسطام حيث اندمجت صوفية الكوفة بمدرسة أخرى ثالثة، نجد التصوف قد اتخذ صورة مخالفة تتمثل في فكرة الاتحاد .
- ثالثاً - مدرسة خراسان ومصر:في خراسان كان رائدا هذه المدرسة هما : "أبو إسحق إبراهيم بن أدهم في مدينة بلخ، والآخر هو "الفضيل بن عياض" ، ويعتبر الأول المؤسس الحقيقي الذي عهد الطريق لمدرسة خراسان، ولقد كان تأثيره أكثر من تأثير معاصره، إذ بفضله أصبحت بلخ مقر تلك المدرسة. ولقد احتفظت مدرسة خراسان يعد موت إبراهيم بن أدهم بمكانتها المرموقة بفضل تلميذه "شقيق البلخي" المتوفي سنة114هـ الذي عرف بالزهد القائم على المتوكل المبالغ فيه .

مدارس التصوف فى التاريخ الإسلامى

- رابعاً - مدرسة نيسابور: انتقل مركز التصوف من بلخ في خراسان إلى نيسابور، حيث ظهرت في نيسابور خرقة الملامتية، ولم تكن هذه المدرسة منقطعة الصلة بمدرسة بلخ وبغداد، بل كانت على صلة وطيدة بهما ، فلقد كان أبو هاشم الزاهد أول طبقة المصطفين الذين وضعوا قواعد مذهب الملامتية، ويؤكد ذلك قول سفيان الثوري الذي اتلقى بأبي هاشم وجلس إليه : مازالت آرائي وأنا لا أشعر حتى جالست أبا هاشم فأخذت عنه ترك الرياء.
- وما يهمنا من تصوف هذه المدرسة أنه يقوم على أساسين رئيسيين: الملامة والفتوة، فالملامة هي كبح النفس واتهامها وتأنيبها على ما فرط منها، ورؤية التقصير فيما يصدر عنها من اعمال الطاعة، أما الفتوة فهي الإيثار والتضحية وكف الأذى وبذل الندى وترك الشكوى وإسقاط الجاه ومحاربة النفس، وهي خصائص تميز بها صوفية بغداد.

مدارس التصوف فى التاريخ الإسلامى

- خامساً - مدرسة الشام: أظهر وأقدم رجال مدرسة الشام "أبو سليمان الداراني المتوفي سنة 215هـ /، وتلميذه "أحمد بن أبي الحواري / المتوفي سنة230هـ/و"أحمد بن الجلاء" المتوفي 306هـ/، وهم أقرب إلى التصوف الحقيقي فهم إلى الصوفية المتفلسفين أو أصحاب النظريات، وإن كن نلمس في بعض أقوالهم أثراً لنظريات ذي النون من ذلك قول أحمد بن الجلاء :))من رأى الأفعال كلها من الله عز وجل فهو موحد لا يرى إلا واحداً، وهذا تعبير عن المعنى نفسه الذي قصد إليه ذو النون في كلامه عن المعرفة بالله، حيث يقول : بمقدار ما يعرف العبد من ربه يكون إنكاره لنفسه.

مدارس التصوف فى التاريخ الإسلامى

- سادساً - مدينة بغداد: لقد احتل صوفية بغداد مكانة سامية وتصدروا معظم الصوفية الآخرين في كتب الطبقات المؤرخي التصوف وكتب التاريخ العام، ويرجع ذلك إلى أن أهمية الدور الذي لعبته بغداد في العالم الإسلامي.
- روى عن أبي بكر بن عياش" قوله : الإسلام بغداد فهي صيادة تصيد الرجال ومن لم يرها لم ير الدنيا، وقال بعضهم : كنت أواظب على الجمعة بجامع المنصور فعرض لي شغل فصليت في غيره، فرأيت في المنام كان قائلاً يقول تركت الصلاة في جامع المدينة وأنه لصلي فيه كل جمعة سبعون ولياً، وقال آخر: أردت انتقال من بغداد فرأيت كأن قائلاً يقول في المنام أتنتقل من بلد فيه عشرة ألاف ولي .

الجانب العملى

- 1. من هو الفيلسوف الذي يرى أن التصوف علم يهدف إلى تزكية النفس وتصفية الأخلاق؟
- أ. الغزالي
- ب. ابن خلدون
- ج. زكريا الأنصاري
- د. الحلاج
- 2. أي من هذه المصادر يُعد من أبرز ما تأثر به التصوف الإسلامي؟
- أ. الفلسفة المادية
- ب. الفلسفة الأفلاطونية الحديثة
- ج. الفلسفة الواقعية
- د. الماركسية

الجانب العملى

- 3. ما المقصود بالتصوف حسب رأي الجنيد؟
- أ. علم الكلام والمنطق ب. أن تكون مع الله بلا علاقة
- ج. مجاهدة النفس بالعلم فقط د. اتباع طريق الزهد المادي
- 4. في أي مدينة ظهرت أولى بوادر التصوف الإسلامي؟
- أ. دمشق ب. بغداد
- ج. المدينة المنورة د. خراسان

روابط خارجية

عنوان الفيديو	الرابط
ما هو التصوف وماهي الطريقة ومتى آخذها ؟	https://youtu.be/vrk0kW3UkqM?si=eFzcW7vFECkAB4fn

المراجع

التصوف في تاريخ الفكر الإسلامي : تأليف د. برهان زريق

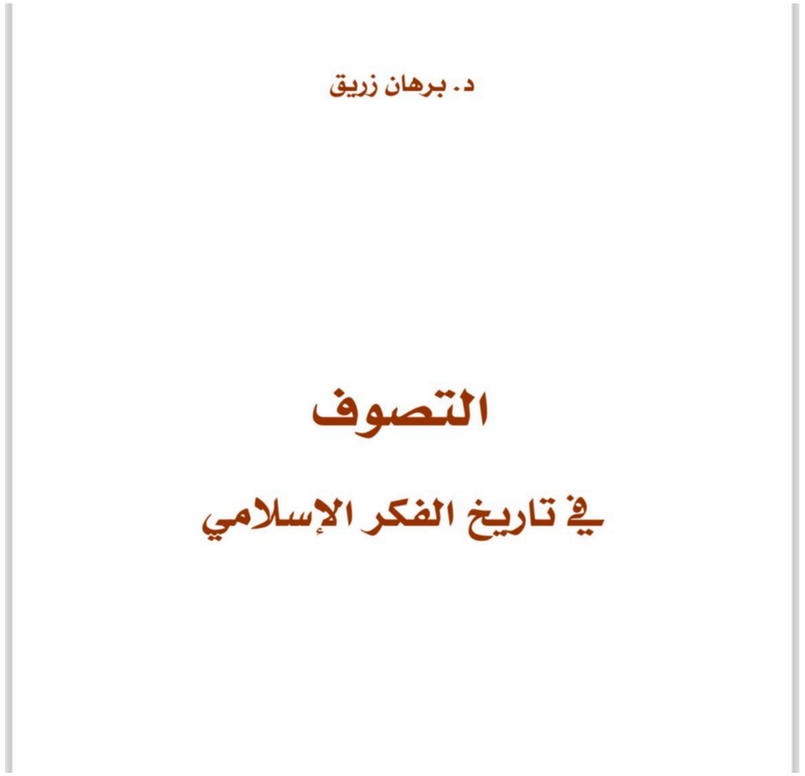

شكرا لكم